القارئ في الرواية العربية المعاصرة في العراق

قارئ رواية ((الرجل الآتي)) لعبد الهادي الفرطوسي نموذجا

م. د . إيمان السلطاني
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

على الرغم من الوظائف المتعددة لعملية قراءة النص , والدور الفاعل للقارئ في النص إلا إننا لا نستطيع الجزم بأن النص يمكن أن يتوقف عند عدد معين من القراءات او القراء , بل يبقى النص متجددا على مرّ الازمان وقابلاً لقراءات أخرى .

تعد رواية «الرجل الآتي» من الروايات العراقية التي تمثل اتجاه ما بعد الحداثة , وقد حظيت بالكثير من القراءات التفسيرية والتحليلية لاحداثها وشخوصها , فكان النص ثريا يستدعي القراء لقراءته . فكان من المناسب التطرق إلى هذه القراءات وتبيان نوعية القراء الذين اشتركوا بشكل او بآخر في إنتاج النص من جديد , وبدلالات متنوعة .

قسمت بحثي الموسوم «القارئ في الرواية العربية المعاصرة في العراق , قارئ رواية « الرجل الآتي» لعبد الهادي الفرطوسي أنموذجا» على أربعة مباحث : تناولت في المبحث الاول (القراءة الاسقاطية)القراءات التي حاول قراؤها اسقاط ذواتهم المعرفية على النص , وتطرقت في المبحث الثاني (القراءة التعليقية) إلى القراءات التي تهتم ببنية النص الشكلية والدلالية لاغير . وتناول المبحث الثالث (القراءة الحوارية)القراءات التي تبحث تعالق النص مع منجزات نصية او لا نصية , وتناولت في المبحث الرابع (القارئ) انواع القراء ؛ وهما : القارئ المعاصر والقارئ المخبر . وقد عملت على ان يتقدم هذه المباحث توطئة (مهاد تنظيري في القراءة والقارئ)تتناول نظرية القارئ من جانب تنظيري.

واخيراً اتمنى ان اكون قد وفقت في بحثي , واستطعت الوقوف على القراءات المتعددة لرواية «الرجل الآتي» وتوصلت بشكل او بآخر إلى مقصدية المؤلف في اثناء تحليلي للنص , وهو جُلّ ما يتمناه كلّ قارئ وإننا لا ندعي الكمال في قراءتنا هذه , وانما نظن انها محاولة يسيرة لاغير في قراءة النص , واللّه نِعمَ المولى ونعم النصير .

توطئة :مهاد تنظيري في القراءة والقارئ

إن أية عملية تخاطب أو اتصال أدبيين يمران بثلاثة أطوار : الطور ألشفاهي والطور الكتابي وطور التلقي , والطور الأخير يتضمن الشفاهية والكتابية بين طياته . وعند تحديد المحاور الفاعلة لهذه الأطوار نجد أن المؤلف يظهر في الطور ألشفاهي, ويتجلى النص ببنيته اللغوية في الطور الكتابي ونرى القارئ في طور التلقي فاعلا ومنفعلا مع النص في مرحلتي التلقي مارتي الذكر .

يمثل القارئ المحور الثالث في العملية الابداعية (المؤلف - النص - القارئ) ويبرز دوره في اثناء التفاعل المعرفي مع النص استيعابه و الاندماج الفعلي فيه وصولا إلى لحظة الكتابة(١) فكما أن المؤلف يضع نصب عينيه قارئا مفترضا يحاوره في أثناء الكتابة فان القارئ يضع مؤلفه المفترض نصب عينيه حتى يحقق عملية التواصل بينه وبين النص . ومن ثم يحقق وظيفته في الإسهام في عملية تحليل النص وتفكيك شفراته واستخراج مضامينه ودلالته(٢) وهو

بذلك يشارك في اعادة بناء النص بما يثرية بدلالات جديدة تجعله بمرور الزمن يتمتع بالاستمرار والحيوية على الرغم من أن البنى المعرفية المتنوعة للقراءة على مر العصور تجعل النص خاضعا لقراءات متنوعة ومتباينة فيما بينها نظرا لتفاوت الرؤى والبني المعرفية والثقافية للقراء(٣) لذلك فإن القراءات المتعددة تسهم بشكل أو بآخر في فك شفرات المناطق الغامضة في النص وفي انتاج نص خالٍ من الفراغات التي تربك المتلقي وتحتاج إلى إكمال بنيتِّها الدلالية(٤) وقد تتحدد هذه القراءات لتساعد على تأويل النص الأدبي إذا اكتنفه الغموض والإبهام فتقدمه نصا مباحا لجمهور المتلقين.

تعد عملية القراءة عملية فعالة تتسم بالحيوية والحركية(٥) فهي تضيء النص كما تضيء المؤلف والبنية الثقافية التي أنتجته والبنية المعرفية التي ارتكز عليها المؤلف في الإنتاج والقارئ في التلقي , ولكن هذه العملية تتعدد وتتنوع بتنوع قرائها وأزمان قراءاتهم , وبذلك يصبح للنص الواحد عدة قراءات , ربما تتحدد كل قراءة فيها بزمان ومكان معينين, تختلف عن الأخرى في زمانها ومكانها , وليس ذلك فحسب ولكنها قراءات تتحدد باتجاهات معرفية وثقافية متباينة تبعا لما يمليه كل قارئ من ثقافته ورؤاه الخاصة على النص, وقد وضع بعض الباحثين تصنيفات مختلفة للقراءات على أساس موجهات كل قارئ وهي: الإسقاطية والتعليقية والحوارية(٦). بل ويتنوع القراء كذلك إذ وضع أحد الباحثين تصنيفات ومسميات متعددة , مثل : القارئ المثالي , والقارئ الضمني , والقارئ المعاصر والقارئ الأعلى , والقارئ المخبر, وغيرها(٧).

وهذا التباين في انواع , القراء والقراءات يجعل النص المقروء يتسم بالفاعلية والحركة وعدم الثبات , ومما يساعد على أن تكون هذه القراءات نفسها تخضع لقراءات اخرى مما يجعل النص في حال تجدد مستمر.

المبحث الاول :

القراءة الاسقاطية

تعد رواية ((الرجل الآتي)) من الروايات التي حظيت بعدد كبير من القراء, فقد أسهم أصحاب تلك القراءات في عملية إنتاجها من جديد وإثرائها , فتنوعت قراءاتهم تبعا لذلك, وتعود التعددية القرائية إلى أن هذه الرواية تنتمي إلى ((الميتافكشن)), أي ((ما وراء الرواية)) وروايات الخيال العلمي , وجاءت محملة بدلالات متعددة ومتنوعة , مما حدا أن يكون قراؤها متجددين, وقراءاتهم متجددة ومتنوعة بتنوع ثقافاتهم الأدبية والإيديولوجية والفلسفية, ولعل أولى القراءات التي تطالعنا هي القراءة الإسقاطية وهي: «طريقة في القراءة عبر النصوص الأدبية باتجاه المؤلف أو المجتمع أو شيء آخر يهم الناقد وبعض أنواع النقد السايكلوجي والنقد السيوسولوجي تقدم لنا أمثلة عن الإسقاط النقدي(٨), , أي أن البنية الثقافية والمجتمعية والدينية تسيطر على القارئ عند قراءته للنص الأدبي, فيسقط معرفته على النص(٩) على الرغم من أن الإسقاط هو ليس الانطباع وإنما هو عرض لآراء القارئ الشخصية في الحياة والكون(١٠) ويتجلى معظم قراء (الرجل الآتي) في القراءة الإسقاطية, وذلك لما تتمتع به من رموز كثيرة على مستوى الشخوص والأحداث , لذلك وجد قراؤها متنفسا للتعبير عن التهم السياسي والاجتماعي إبان المدة الزمنية المظلمة من الحكم البائد, وكأنها رحلة استكشافية لآلام شعب عانى من ظلم الحكام والدكتاتورية . فيقول مؤلفها إن هذه الرواية قد كتبت ((في عهد الدكتاتورية , لذلك كان الفضاء أو المكان كله صورة للفضاء العراقي ...

«هنالك طاغية فرد (الرجل الآتي), وهو مخلوق ولد من الإنسانية أمه وأبوه بشر, وهو مخلوق سميته(الكائن الصنوبري) .... مخلوق غريب بشع وقدراته خارقة منها انه يسيطر على عدد هائل من الفئران الصغيرة. هذه الفئران يسلطها على أي جهة يريد قتلها فتلتهم ..إنها تلتهم كل شيء .. الناس والحيوانات والأشياء.. ثم هو وذريته يأكلون هذه الفئران . وصورة الطاغية واضحة في هذا المجال»(١١) ويقول المؤلف في لقاء آخر أجرته معه جريدة الصباح : «فاستطيع القول أن روايات الخيال العلمي هي المرآة الأصدق للواقع المعيش, وبخصوص رواياتي الخمس فان أبرز ملمح مشترك بينها جميعا هو عالم السجون ووسائل التعذيب الهمجي التي يتعرض لها السجناء . قد تكون تلك السجون ... في مدينة خيالية لا مكان لها كما في (الرجل الآتي) .... وفي كل الأحوال يكون المرموز له واحدا وهو سجون العراق في عهد الدكتاتورية. والملمح المشترك الآخر هو صورة الطاغية ... في الرجل الآتي فان الطاغية إنسان مشوه, ولد كأي إنسان عادي ثم برزت مواهبه مبكرة في القدرة على الاغتيال وإخفاء معالم الجريمة , والتآمر على أقرب الناس إليه , وخيانة الأهل , والقدرة على تدجين الشخصيات المهمة وتحريكها بمشيئته حتى يصير العالم كله في قبضته. أن قراءة منهجية متأملة لتلك الرواية قادرة على الكشف عن أوجه شبه كثيرة بين الشخصية الرئيسة فيها وشخصية طاغية العراق»(١٢) . ولكن المؤلف يتعامل

مع أسماء شخصياته كعلامات سيميائية(١٣) ومن هنا جاء اسم رواية (الرجل الآتي) موحيا بجدلية (الحاكم والمحكوم) الأزلية. فـ «ال» التعريف التي تسبق (الرجل) تشير إلى المعرفة المسبقة بذلك الرجل, انه الرجل الحاكم على مر العصور, بل إن أغلب صور الحكام تتجسد فيها الدكتاتورية والاستبداد, بل إنه صراع الآخر (المحكوم) من أجل الحرية, وقد تشير صورة ((الرجل الآتي)) إلى سلطة المجتمع وبنيته المعرفية والإيديولوجية أو سلطة الثقافة المهيمنة في أمة ما , وهذا ما نجده في شخصية بطل الرواية ((ابراهيم الصنوبري)) والقدرات الخارقة التي يمتلكها وتؤهله إلى قيادة العالم في وقت قصير نسبيا وتوحي بالسلطة التي تجتاح الآخرين , وهذه السلطة تحتمل التعددية الدلالية (الحاكم, المجتمع, الثقافة), من هنا جاءت المناسبة بين اسم الرواية وشخصية البطل المركزي فيها لتبرز هذه التعددية الدلالية .

وتطالعنا قراءات إسقاطية أخرى تعطي مساحات دلالية أوسع مما سبق , فتجعل من الرواية «إدانة العولمة والحروب والاستخدامات النووية التي لها أخطر النتائج على مستوى الحياة والأفراد ... وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهمية الدولة الكبرى»(١٤) فشخصية البطل تأتي محملة برموز كثيرة فيقول أحد القراء: «ان ابراهيم الصنوبري يحسن قواعد اللعبة وانه يرمز إلى جانب الشر والإنسان المتوحش الذي يمثل صورة ناصعة لكل الديكتاتوريات الفاشية في العالم ومن ثم العالم الرأسمالي بنظامه الجديد»(١٥) . إن القراءتين المتقدمتين تشيران إلى أن هيمنة العولمة على العالم , والعولمة هي نتائج الفكر البشري على مر العصور, وكما أن للعولمة إفرازاتها الايجابية ؛ تتمثل في رفعها الإنسانية إلى قمة الحضارة , فان إفرازاتها السلبية كان لها أخطر النتائج على الحياة البشرية , من هنا أصبحت للعولمة سلطة قمعية تسيطر على مقدرات الإنسانية, في كلا الجانبين: الإيجابي والسلبي, وشخصية (ابراهيم الصنوبري) ,باحتمالها التعددية الدلالية كما أشرنا سابقا, تكون السلطة هي دلالتها الأوسع التي تنطوي على العديد من الدلالات الأخرى , ويمكن أن تمثل العولمة إحدى هذه الدلالات.

وقد حاول بعض النقاد الجمع بين أكثر من دلالة أو تفسير في قراءاتهم , كما أن هذه القراءة التي يقول الناقد فيها: «لم يكن هدف القاص عبد الهادي الفرطوسي أن يقدم قصة من قصص الخيال العلمي, ولم يكن يروم أن يغرب القارئ إلى عالم فنطازي, بل وضع نصب عينيه غرضا أن يكون ما يكتبه يعبر عن موقف المواطن من قضايا وطنه مشاركا لهموم الآخرين معبرا مدافعا عن الأرض التي تمده بالحياة من خلال موقف المحكوم من الحاكم ساعة أن يتعرض الوطن للخطر قد يدمر الجميع منبها على قوة الدول الكبرى التي تمتلك السلاح النووي وتجعل من أراضي الدول الصغرى قواعد لها أو حقلا صالحا لإجراء تجاربها, لذا نجح في تجسيد قضية هذه الدول الصغرى وما يلحق أهلها من اضطهاد الحاكمين الخاضعين للأجنبي»(١٦) وقريبا من هذه القراءة قراءة أخرى , يقول فيها صاحبها: «تعالج مشكلات الضعف الإنساني والظلم ... وقلق الإنسان من الاستخدامات النووية والشعور بالأسى علة مصير الإنسان الذي تتحكم به الدول الكبرى بذريعة العولمة وكذلك صورة للواقع الذي يعيشه العالم العربي حيث تسيطر العناصر الشريرة والملفقة على كراسي الحكم وتستبعد كل الضمائر النقية التي تريد لهذه الأمة أو العالم العيش بسلام ... وكأن المؤلف أراد أن يعكس لنا ما يعتمد في مدارك روحه من قلق على مصير الإنسان وأن يوصلنا إلى حقيقة العولمة وزيف مدعيها ... ثم أنك تجد صورة أو نبوءة احتلال بغداد وأنت تطالع سطور هذه الرواية(١٧) فنجد ان القراءتين تتناولات تفسيرين لرمز شخصية (ابراهيم الصنوبري) متخذين من الدلالة الواسعة منحى لتحليل وتفسير التغييرات البايولوجية على شخصيات الرواية , ولكن القراءة الأخيرة تشير إلى أن الرواية نبوءة بسقوط بغداد , وأيا كانت هذه النبوءة قريبة من الواقع أو الحقيقة , فهي لا تعدو إلا أن تكون من قبيل المصادفة لا غير.

المبحث الثاني :
القراءة التعليقية

على الرغم من كثرة القراءات الإسقاطية لرواية (الرجل الآتي) الا أن قراءات أخرى تفعَّل في هذه الرواية , وتتخذ شكلا مناوئا للشكل الأول, الا وهي القراءة التعليقية للنص ويمكن أن نسميها القراءة الجمالية لأنها تهتم بالصياغات والأبنية الفنية للنص فحسب, أي في البناء الذي ينتظم النص , مما يحتم الحضور التام للنص(١٨) ويحتم أيضا التماهي التام للقارئ في النص المقروء. فـ «ليس للناقد أي هوية خاصة إذ هناك هوية واحدة فقط هي تلك الخاصة بالمؤلف الخاضع للفحص الذي يصبح الناقد متكلما باسمه إننا نشهد نوعا من الالتحام المنتشي المليء بالوجد»(١٩) , ولكن هذا الاندماج لا يعني التطابق التام بين الناقد والمؤلف , إذ يصبح

أحدهما عين الآخر , بل يستبعد كل ما يتعلق بالمؤلف من سيرة ذاتية أو حياتية أو انطباعات شخصية وما إلى ذلك, ويبقى النص شاخصا في هذه اللحمة , فالقارئ «يصبح في أثناء القراءة الذات التي تفكر ... أن تفكر في أثناء القراءة بأفكار شخص آخر»(٢٠).

وتطالعنا في هذا المجال قراءة عبد الحكيم أمين محمد الذي حاول دراسة المبنى الحكائي في رواية (الرجل الآتي) على وفق ثلاثة فضاءات سردية متداخلة وهي فضاء السرد الفني وفضاء السرد السياسي وفضاء السرد العلمي, ثم أخذ بالمعالجة الأسلوبية والإحصائية لكل فضاء من الفضاءات المتقدمة, وذلك بقياس كثافة المتغير الأسلوبي للجمل الاسمية والفعلية والبسيطة والمركبة وما إلى ذلك , وقياس النسبة بين متغيرين أسلوبيين , ثم قياس النزعة المركزية للمتغيرات(٢١) وينتهي إلى تداخل «مستويات البث الروائي فراغيا دون أن يلغي بعضها بعضا, بل تتواشج لخلق حالة التوازن عند المتلقي ... فمن خلال دراسة التطور للمركب السردي نلمس اقتراب المبنى الحكائي من المتن الحكائي خطيا وابتعاده على مستوى البعد الرابع لدخول الزمن بصفته متغيرا جديدا يقلب العلاقات الواقعية المألوفة ويسهم في تغيير الشكل الجمالي للأحداث وآية ذلك تعدد الوسائل الفنية في تشكيل المبنى الحكائي مثل الموازاة , التقديم والتأخير , الإيجاز والاستطراد»(٢٢).... ان القراءة التعليقية المتقدمة اندرجت تحت عنوان ((البنية السردية في الرجل الآتي)) , ولكن منهجية القراءة اتخذت بعدا آخر , إذ جعلت من الأسلوبية الإحصائية منهجا لدراسة المبنى الحكائي على وفق معادلات رياضية لقياس المتغير الأسلوبي لمختلف الجمل, فجاء العنوان غير متطابق لفحوى القراءة لان العنوان يشير إلى البناء السردي, ولا يمكن ان يتغاضى البناء السردي عن دراسة مكوناته كشخوص الرواية وأصنافها, وظهور الأحداث وتطورها, ثم زمان ومكان الشخوص والأحداث وأنساق بناء السرد وخطاب الأحداث وخطاب الأقوال. أما المنهجية فقد اعتمدت على دراسة الجمل في موضوعة صغيرة الا وهي((المبنى الحكائي)) , وهذه المنهجية أقرب إلى دراسة الشعر من دراسة السرد, فتقاس شعرية النص الشعري على وفق ما يفرزه من جمل متعددة ومتغيرة على طول النص, وهذا ما تقوم به معظم الدراسات, ولكن أن تقع الرواية بأبنيتها السردية المتعددة تحت طائلة الإحصاء فان هذا قد قتل الرواية وحولها إلى أي نص آخر, يمكن أن يكون شعريا أو نثريا عاديا ولكنه لا يكون سرديا, بل أن الرواية تبتدئ بحدث يصدم القارئ, وهو رمي المخلفات النووية في إحدى دول العالم الثالث, فيظهر في أعقاب هذا الحدث الهام حدث آخر وهو ظهور الولادات المشوهة مما يصدم هو الآخر أفق توقع القارئ مما يعني لزاما أن هذا الخرق يمكن أن يشكل انطلاقة لأي قارئ يريد الإبحار في عالم هذه الرواية .

وتطالعنا قراءة أخرى تطرح لغة الرواية بشيء من الاختصار , وهي لا تعول على أي منهجية , ولكنها تعطي نتائج عامة عن الرواية فيقول القارئ فيها إن « قدرة مخيلة الروائي د. عبد الهادي احمد الفرطوسي على توليد الأفكار والأحداث غير المألوفة وصياغتها على وفق أسلوب تعبيري تؤطره الصورة المجازية والكنايات التي وسعت مساحة التأويل, مما جعل الرواية محتشدة بالرؤى والأفكار والنبوءات المستقبلية , عبر تمازج جميل بين العلم والسياسة ,وسائر الصراعات المتقابلة ... مع يقيننا أن ثمة هيمنة للغة العلمية على اللغة الأدبية في بعض مناطق الرواية. على الرغم من أن الروائي قد سعى باتجاه تحقيق قدر من الموازنة بين اللغتين»(٢٣) فنجد ان هذه القراءة تتحدث عن أسلوب الروائي في عرض الأحداث عبر موازنة بين اللغة والحدث, ولما كان الحدث الروائي يدور حول قضية علمية فإن الأديب قد سعى إلى الموازنة بين لغة الحدث (العلمي) ولغة الأدب (الروائي) ولكنها في كل الأحوال هي قراءة تعرض اللغة بعمومية وضبابية من دون ان تستند إلى شواهد من الرواية نفسها .

المبحث الثالث:

القراءة الحوارية

هناك قراءة أخرى ظهرت في قراءات رواية ((الرجل الآتي)) ولو بشكل نسبي تقريبا الا وهي الخطابات السابقة, ويمكن أن تعرّف على أنها «كل خطاب يقيم عن قصد أو عن غير قصد حوارا مع الحوارات السابقة التي تشترك معه في الموضوع نفسه, كما يقيم أيضا حوارات مع الخطابات التي ستأتي والتي يُتنبأ بها ويحدس ردود فعلها ... والنوع الأدبي الذي يفضل مثل هذه التعددية الصوتية ... هو الرواية»(٢٤) لأن كل خطاب لابد أن تكون له مرجعيات نصية أو لا نصية تؤطره , وتجعله عالقا في شبكة من العلاقات النصية السابقة عليه أو المعاصرة له , وللقراءة الحوارية وظائف متعددة منها انها «تساعد القارئ على إعادة بناء وتأسيس الوضعية التلفظية التداولية بمعنى أن القراءة على وفق هذا المحفز القبلي هي نوع من السعي إلى إعادة تداولية الخطاب الأدبي يقوم به القارئ تحت ضغط العمل الأدبي نفسه»(٢٥), بمعنى آخر

انها تبرز دلالة النص ولا سيما اذا كان النص مشحونا بصور ومشاهد وإيقاعات النص السابق مما يجعل التأويل الوسيلة الوحيدة للكشف عن خبايا النص, لأن النص الحواري نص متداخل, يسعى القارئ فيه إلى فك هذا التداخل وفك شفراته(٢٦).

وهناك قراءتان من القراءات الحوارية في رواية ((الرجل الآتي)): الأولى منها

ارجعت انتماء الرواية إلى أدب الخيال العلمي وعالم الاساطير(٢٧) أما الأخرى فقد أيدت القراءة الأولى وهي قراءة للمؤلف نفسه يقول فيها «جاءت روايات الخيال العلمي استجابة لفعل المخيلة التي تربت على الغرائبية أولا, ومحاولة لعصرنة الخرافة والأسطورة ثانيا و إذا كانت الأساطير القديمة قد تضمنت الدلالات السياسية في بعض الأحيان فان أدب الخيال العلمي قد شحن بمثل هذه الدلالات فكان ذلك أداءا كنائيا لتصوير الواقع السياسي بعيدا عن مقص الرقيب وقمعه , وبعد أن قطع الخيال الغرائبي شوطا صار لزاما عليه أن يلتفت إلى تفسير هذه الغرائبية والبحث عن دوافعها وخصائصها ووظائفها في الحياة والثقافة والأدب, من هنا صار التوجه إلى الاتجاه الاسطوري»(٢٨) القراءتان المتقدمتان تشيران إلى أن روايات الفرطوسي جميعها بما فيها ((الرجل الآتي)) قد أفادت من الأسطورة في خلق رموز أسطورية تعطي دلالات واقعية معاصرة تشير إلى الوضع السياسي وقت كتابة الرواية, وأياً كانت هذه الرموز فإنها تدل دلالة واضحة على واقع مرير عاشه المؤلف مع مجتمعه وانعكس في رواياته, لذلك قدم شخوصا بأشكال غير مألوفة وأفعال خارقة, وهي أيضا أسطورية قمعية تصيب من يرفضها أو يفكر بمقاومتها بالجنون(٢٩).

وهذه السلطة (ابراهيم الصنوبري) تشير إلى عدة دلالات يمكن أن تندرج تحتها, فالعلاقة الجدلية بين الحاكم والمحكوم وخاصة في دول العالم الثالث تتجلى في مشهد من الرواية حينها يقرر (ابراهيم الصنوبري) إرسال سفينة محملة بالفئران إلى شرق آسيا لغرض تقليص عدد السكان فيها من خلال الفئران التي تتغذى على لحوم البشر(٣٠) وفي ذلك أعظم انتهاك لحقوق الإنسانية, ولكنها انتهاكات ما زالت حية تصر عليها الدكتاتوريات في العالم, من هنا جاءت رؤى المقموعين توقا إلى حلم اشتراكي يلغي المعاملات المالية ويجعل من الإنسانية مثالا أعلى لكل شيء ويحفظ كرامتها ويتمثل ذلك في صورة السوق في جزيرة أم النمور(٣١) وليس ذلك فحسب بل أن حلم المقموعين يتجاوز ذلك إلى انتخابات حرة في اختيار الحاكم بعيدا عن الحكم الوراثي أو الدكتاتوري كما في انتخاب يحيى رئيسا للجنة العليا لقيادة سكان جزيرة ام النمور(٣٢).

وتمثل العولمة صورة أخرى من صور السلطة القمعية فإنها في بعض جوانبها تفضي إلى موت الإنسان أو إلى القضاء بايلوجيا عليه بوسائل عدة, فيظهر في الرواية نصاً يذكر لنتائج العولمة فيقول «ان الدولة الكبرى قامت بإجراء تجربة نووية في أعماق المحيط الهندي على مقربة من جزيرة مقطورة وإن إشعاعات تسربت إلى الجزيرة وان آثارها ستكون ذات خطورة على حياة الناس ومستقبلهم في الجزيرة»(٣٣), وهي أيضا في الوقت نفسه تشير إلى سيطرة الدول العظمى وسيادتها على الدول الصغرى من خلال سلطة الولاء التي وضعها (ابراهيم الصنوبري) والتي لا تنتمي إلى وطن أو أمة أو دين, وإنما إلى جنس الصنوبريين(٣٤) مما يوحي إلى سيادة الجنس الأبيض على بقايا الأجناس الأخرى كالأسمر والأسود والأصفر, والجنس الأبيض ما هو الا جنس الدول الكبرى.

وربما كانت للثقافة سلطة قمعية أيضا ويبدو ان الثقافة السائدة في رواية ((الرجل الآتي)), هي ثقافة الغاب لأن الأقوى هو الأصلح وهو الأبقى وهو السلطة مثال ذلك ما جرى من قيادة ابراهيم لحيوانات الغابة وأئتمارها بأمرته في كل شيء حتى في القتل من دون سبب وجيه حينما كان في العاشرة من عمره(٣٥) اما سلطة المجتمع فإنها تنحسر وتتلاشى لان بطل الرواية ينحر العلاقات الاجتماعية أو انتماءه الاجتماعي مثال ذلك زواج (ابراهيم الصنوبري) ,وميساء من دون علم أهلهما وهما في سن التاسعة من العمر(٣٦).

المبحث الرابع:

القارئ

القراءات المتقدمة أسهمت بشكل أو بآخر في إضاءة جانب من جوانب النص ولكن هناك سؤال يطرح نفسه أي نوع من القراءة اختص بالقراءات المتقدمة الذكر ؟

عند دراسة أنواع القراء في رواية ((الرجل الآتي)) يتبين ان القارئ المعاصر هو القارئ المهيمن في معظم القراءات, على الرغم من ان المؤلف نفسه يطرح عدة قراءات لنصه . لكنه لم يستطع ان يصل إلى مرتبة القارئ المثالي بسبب التباين بين قراءة إلى أخرى في تحديد دلالة النص(٣٧) ولعل القارئ المعاصر هو القارئ المهيمن على قراءات النص والقارئ المعاصر هو القارئ الذي يتعلق بتاريخ التلقي , أي انعكاس البنية الثقافية لعصر معين على النص,

فتأتي قراءة كل عصر مناسبة مع تاريخ قراءتها, وبذلك تكشف عن تطور البنية الثقافية والاجتماعية لجمهور المتلقين , وتطور التلقي والذوق الفني للمتلقي(٣٨) وكان ظهور القارئ المعاصر وهيمنته على قراء ((الرجل الآتي)) له أسبابه. فالرواية صدرت عام (٢٠٠٠)م ولكن قراءاتها لم تظهر الا بعد سقوط الحكم البائد. فتؤرخ أقدم قراءة في شهر ايلول من عام(٢٠٠٣)م . أي بعد شهر واحد من سقوط النظام الدكتاتورية , مما انعكست هذه المرحلة ببنيتها الثقافية والسياسية والإيديولوجية على قراءات القراء المار ذكرها , انحصرت هذه القراءات من ايلول (٢٠٠٣) إلى ايلول (٢٠٠٨) م وهذه المدة الزمنية هي تاريخ تلقي هذا النص مما يفسر الدلالات التي افرزها القراء في أثناء قراءاتهم , والمتضمنة إشارات إلى أحداث عام (٢٠٠٣) م وما بعدها .

أما القارئ المخبر فان ظهوره بين قراء ((الرجل الآتي)) لا يعطي طابع السعة أو الهيمنة, لكنه ظهور نسبي , وفي قراءة واحدة لا غير , والقارئ المخبر هو القارئ الذي يستند إلى النحو التوليدي وتأثيرات البنية السطحية على المتلقي حتى نجعل القارئ لحظات النص وصولا إلى البنية العميقة(٣٩) ويعد القارئ عبد الحكيم أمين محمد قارئا مخبرا إلى حد ما , لأنه قارئ ظل يراوح في قراءته عند البنية السطحية , ولم يستطع تجاوزها إلى دلالات النص الكامنة أو العميقة(٤٠).

يتبين مما سبق ان رواية ((الرجل الآتي)) رواية تحتمل دلالات متعددة لأنها دخلت عالم الغرائبية في شخوصها وأحداثها مما ألزم القارئ بتوجهات قرائية متنوعة , ولكنها قراءات انحصرت في إطار تاريخي محدد لذلك ظهر القارئ المعاصر قارئا مهيمنا على قراء ((الرجل الآتي)) وقد ظهر إلى جنبه قارئ آخر هو القارئ المخبر, ولكنه قارئ لم يستوف شروطه جميعها, وتوقف عند البنية السطحية لم يتجاوزها.

الخاتمة

تعد رواية «الرجل الآتي» من الروايات التي تنتمي إلى ما وراء السرد او ما وراء الرواية , جاءت محملة بدلالات سياسية واجتماعية وثقافية . وتحمل هم مجتمع في مرحلة تاريخية من العراق المعاصر , لذلك كُثر قراؤها وتنوعت قراءاتهم.

وقد خطا هؤلاء القراء خطوات واسعة في مجال إعادة إنتاج الدلالة وتشكيل النص , بل لقد سعى بعض منهم ان يكونوا قراءً مثاليين , يبحثون فيها عن المقاصد الحقيقية للمؤلف , او يحاولوا ان يتلبسوا المواضعات الثقافية التي أنتجت النص , وقد حاول آخرون فك شفرات النص في المواقع الغامضة , وإكمال الفجوات بالدلالة المناسبة مع سياق النص , واكتفى آخرون بقراءتها على وفق مناهج غير سردية بغية توضيح البنى الاسلوبية للتراكيب القصصية .

تمثل شخصية «إبراهيم الصنوبري» الشخصية الأهم بين شخصيات الرواية وإحداثها , وهو بؤرة الحدث والزمان والمكان فيها.

اذ معظم الإحداث تدور حول هذه الشخصية , وهي الشخصية التي خلقت زمان ومكان الرواية , من هنا كانت معظم القراءات تحاول تحليل وتفسير «إبراهيم الصنوبري» , وقد أجمعت معظمها على انها تمثل السلطة السياسية الحاكمة والمتفشية على مر الازمان والعصور , ولكن هذه الشخصية المتنوعة الوجوه يمكن ان تحمل تنوعا دلاليا في امتداداتها , فقد تمثل السلطة (السياسية والثقافية والاجتماعية) ؛ فالشخصية تعبر عن السلطة السياسية فهي أنموذج للعلاقة الجدلية بين الحاكم والمحكوم والمنتشرة في دول العالم الثالث , وهي ايضا تعبر عن السلطة الاجتماعية عندما تتفشى احكام المجتمع وعاداته وتقاليده في قالب معين يرفض التغيير وتقرّ برضوخ الافراد لقوانينها , وان كانت جائرة , وقد تمثل السلطة الثقافية متمثلا بالعولمة وثقافة الغرب والتي أصبحت المرجعية الثقافية في الشرق . لذلك فتنوع الشخصية يؤدي إلى تنوع الدلالات التي تشير اليها , وتمثل الشخصية بحد ذاتها شفرة تحتاج إلى فك رموزها.

اما اختفاء دلالة الزمان والمكان العامة فيشير إلى إبعادهما الواسعة لكل الازمان ومختلف الاماكن , فإنها تصلح لكل زمان و مكان .

الهوامش

ينظر : الش١- ينظر : الشعر العربي الحديث بين الابداع والتلقي - احمد الفجوة - مجلة علامات - ٣٥- مج -٩- مارس - النادي الادبي الثقافي - جدة ٢٠٠٠ م - ٢٧٢.

٢- ينظر: نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية - تحرير جين ب تومبكنز - تر : حسن ناظم - علي حاكم - - مراجعة وتقديم : محمد جواد حسن الموسوي - المجلس الاعلى للثقافة - ١٩٩٩ - ١٨٣ وما بعدها .

٣- ينظر : فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتمييز الخطاب - د . يمني العيد -ط١ - دار الآداب - بيروت - ١٩٨٨م - ٤٤ .

٤- ينظر : نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية ١١٩ وما بعدها .

٥- ينظر :- ١٦٣. الاصول المعرفية لنظرية التلقي - ناظم عودة خضر - ط١- دار الشروق للنشر والتوزيع - الاردن ١٩٩٧ - ١٦٠وما بعدها.

٦- عر ا ينظر : الاصول المعرفية لنظرية التلقي : ١٥ .

٧- المبدا الحواري - دراسة في فكر ميخائيل باختين - تزفتان تودوروف - تر : فخري صالح - دار الشؤون الثقافية العامة - ط١ - ١٩٩٢م - ١٣٨ .

٨- البنيوية في الادب ١٦٣ .

٩- ينظر : في الادب والنقد - د. محمود مندور - ط٥ - مطبعة نهضة مصر - مصر - ١٩٤٩ - ١٤ .

١٠- ينظر : النقد التحليلي - محمد عناني - دار الجيل للطباعة - بيروت -٣١ وما بعدها .

١١- جريدة البلاغ ع ٢٠٨ - ايار - ٢٠٠٨م -١٦ .

١٢- جريدة الصباح - ع - ١٠٤٧ - شباط - ٢٠٠٧ - ٨ , ٩ .

١٣- ينظر : المصدر نفسه ٩ .

١٤- الرجل الآتي , رواية تناهض العولمة - د. باسم الاعسم - جريدة المؤتمر - ع ٣٦٢ - تموز - ٢٠٠٣ م - ٩ .

١٥- صراع الاضداد في الرجل الآتي - د. باسم الاعسم - جريدة الصباح - ع ١٤٩٤ايلول ٢٠٠٨ - ١١

١٦- قراءة في رواية الرجل الآتي - عبد العزيز ابراهيم - جريدة المؤتمر - ٣٧٧ ايلول - ٢٠٠٣.

١٧- قراءة في رواية الرجل الآتي - محمد سعد جبر الحسناوي - جريدة الولاء ع ٧٨ تموز ٢٠٠٦ م - ٦

١٨- ينظر : الاصول المعرفية لنظرية التلقي : ١٥ .

١٩- المبدا الحواري - دراسة في فكر ميخائيل باختين - تزفتان تودوروف - تر : فخري صالح - دار الشؤون الثقافية العامة - ط١ - ١٩٩٢م - ١٣٨ .

٢٠- نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية - ١٣٥ وما بعدها .

٢١- ينظر: البنية السردية في ((الرجل الآتي)) - عبد الحكيم امين محمد - مجلة بانيقيا -ع١ - السنة الاولى - ٢٠٠٥ م - ٣٩ - وما بعدها .

٢٢- المصدر نفسه - ٤٨ .

٢٣- صراع الاضداد في الرجل الآتي ١١ .

٢٤- المبدا الحواري ٦ .

٢٥- مفهوم القارئ و تفعيل القراءة , محمد خرماش - مجلة الاقلام - ع٥ -١٩٩٩ م - ٢٤ .

٢٦- ينظر : قراءات في الدب والنقد: د. شجاع العاني : منشورات اتحاد الكتاب العرب: ١٩٩٩ : ١٠٦ وما بعدها.

٢٧- ينظر : الشبكة العراقية - ع٦٢ - شبكة الاعلام العراقي - بغداد-٢٠٠٦ م -٥٨ .

٢٨- ينظر : المصدر نفسه.

٢٩- ينظر: رواية((الرجل الآتي)) - عبد الهادي احمد الفرطوسي - ط١ - اصدارات دائرة الثقافة والاعلام - الشارقة - ٢٠٠٠ م - ١٢٩ .

٣٠- ينظر : المصدر نفسه ١٢٥ .

٣١- ينظر : المصدر نفسه ٣٠ وما بعدها .

٣٢- ينظر : المصدر نفسه ٢٨ .

٣٣- المصدر نفسه ٩ .

٣٤- المصدر نفسه ٥٧ .

٣٥- نظر : المصدر نفسه ٦٣ وما بعدها , ٧٠ وما بعدها .

٣٦- ينظر : المصدر نفسه ٦١ .

٣٧- ينظر : جريدة البلاغ ١٦ , جريدة الصباح (٨-٩) الشبكة العراقية ٥٨.

٣٨- ينظر : فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الادب - فولفغانغ ايز - تر :د. جميل الحمداني , د. الجلالي الكدية - مطبعة الافق , مطبعة النجاح المغرب ٢١ وما بعدها .

٣٩- ينظر : المصدر نفسه ٢٥ وما بعدها .

٤٠- ينظر : البنية السردية في ((الرجل الاتي)) ٣٩ وما بعدها .

المصادر والمراجع :

الاصول المعرفية لنظرية التلقي - ناظم عودة خضر - ط١- دار الشروق للنشر والتوزيع - الاردن ١٩٩٧
البنية السردية في ((الرجل الآتي)) - عبد الحكيم امين محمد - مجلة بانيقيا -ع١ - السنة الاولى - ٢٠٠٥ م
البنيوية في الادب - روبرت شولتز - تر : حنا عبود - منشورات اتحاد الكتاب العرب - ١٩٨٤م
٤- الرجل الآتي , رواية تناهض العولمة - د. باسم الاعسم - جريدة المؤتمر - ع ٣٦٢ - تموز - ٢٠٠٣ م
٥- رواية((الرجل الآتي)) - عبد الهادي احمد الفرطوسي - ط١ - اصدارات دائرة الثقافة والاعلام - الشارقة - ٢٠٠٠ م
٦- الشعر العربي الحديث بين الابداع والتلقي - احمد الفجوة - مجلة علامات - ٣٥- مج -٩- مارس - النادي الادبي الثقافي - جدة ٢٠٠٠ م
٧- صراع الاضداد في الرجل الآتي - د. باسم الاعسم - جريدة الصباح - ع ١٤٩٤
ايلول ٢٠٠٨
٨- فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الادب - فولفغانغ ايز - تر :د. جميل الحمداني , د. الجلالي الكدية - مطبعة الافق , مطبعة النجاح المغرب
٩- فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتمييز الخطاب - د . يمني العيد -ط١ - دار الآداب - بيروت - ١٩٨٨م
١٠- في الادب والنقد - د. محمد مندور - ط٥ - مطبعة نهضة مصر - مصر - ١٩٤٩
١١- قراءات في الدب والنقد: د. شجاع العاني : منشورات اتحاد الكتاب العرب: ١٩٩٩
١٢- قراءة في رواية الرجل الآتي - عبد العزيز ابراهيم - جريدة المؤتمر - ٣٧٧ ايلول
- ٢٠٠٣
١٣- قراءة في رواية الرجل الآتي - محمد سعد جبر الحسناوي - جريدة الولاء - - ع ٧٨ - تموز - ٢٠٠٦ م
١٤- لقاء مع الدكتور عبد الهادي الفرطوسي - اجرى الحوار: فائق الشمري - جريدة البلاغ - ع ٢٠٨- ايار- ٢٠٠٨م
.
١٥- لقاء مع الدكتور عبد الهادي الفرطوسي اجرت الحوار : فليحة حسن- جريدة الصباح- ع١٠٤٧-شباط-٢٠٠٧م .
١٦- لقاء مع الدكتور عبد الهادي الفرطوسي- اجرت الحوار : نجاة عبد الله- مجلة السبكة العراقية- ع٦٢- شبكة الاعلام العراقي - بغداد ٢٠٠٦م .
١٧- المبدا الحواري - دراسة في فكر ميخائيل باختين - تزفتان تودوروف - تر : فخري صالح - دار الشؤون الثقافية العامة - ط١ - ١٩٩٢م
١٨- مفهوم القارئ و تفعيل القراءة , محمد خرماش - مجلة الاقلام - ع٥ -١٩٩٩ م
١٩- نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية - تحرير جين ب تومبكنز - تر : حسن ناظم - علي حاكم - - مراجعة وتقديم : محمد جواد حسن الموسوي - المجلس الاعلى للثقافة - ١٩٩٩
٢٠- ينظر : النقد التحليلي - محمد عناني - دار الجيل للطباعة - بيروت